المنظومة الدينية والتوافق مع معطيات الحضارة الغربية

دكتورة/ فايزة بنت عبدالله الحربي
الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية
كلية التربية، جامعة المجمعة

إن التواصل مع الحضارات ضرورة إنسانية لها دورها في التاريخ البشري، وفي تاريخ الحضارات، ولن تجد حضارة ظهرت في ظل الانغلاق الذاتي، بل الجديد يأخذ من القديم، ويستفيد من تجاربه ويطورها، والمنظومة الدينية كيان يمثل نسق اجتماعي تنظيمي كباقي المؤسسات الأخرى يرتكز على جملة قوانين وتنظيمات تسيره وتحكمه لخدمة المجتمع في المجال الديني لا يقل دورها أهمية عن باقي المؤسسات الأخرى في المجتمع، هذا الدور المتمثل في البناء الاجتماعي والتربوي والثقافي وغيرها من الأدوار المقدمة لأفراد المجتمع باستخدام أساليب متنوعة واعتماد وسائل مختلفة قصد الوصول إلى تحقيق هدفها المسطر في أفضل صورة. لقد تجلت تلك العمليات والأدوار في واحدة من أهم المؤسسات الدينية عند المجتمعات الإسلامية، هذا النسق الاجتماعي التنظيمي الذي يمثل واحدا من أهم المعالم في المجتمع الإسلامي بما يحمله من بعد ديني، حضاري، روحي واجتماعي، فتعتبر المؤسسة الدينية من أهم وسائل الضبط الاجتماعي الرسمية، لما تحمله من دلالات روحية مقدسة لدى المجتمع، إذ تعتبر هيئة تنظيمية ذات سلطة اجتماعية دينية عامة، تنظم حياة المجتمع من خلال ما تنتجه بناء على التشريعات التي أسست عليها، والخطاب الديني باعتباره من أهم مخرجاتها فهو يمثل فعل اجتماعي موجه ومحدد بنظام فكري مقدس يقيد الفرد وينظم المجتمع بما يحويه من مواضيع مختلفة ومتنوعة ذات فاعلية اجتماعية، وهذه المنظومة بينها وبين الغرب قطيعة، نحاول من خلال هذا البحث أن نمد جسور التواصل بينهما، من هنا كان البحث بعنوان " **المنظومة الدينية والتوافق مع معطيات الحضارة الغربية**"

أولا: أهمية الموضوع

- أهمية التواصل مع الآخر، حيث إنه سلاح ذو حدين ؛ فقد يكون إسهاما في نهضة الفكر الإسلامي، وقد يستغل لمحاولة تشويش عقول المسلمين بدعوى التجديد.

- كما يطرح البحث مشكلة حاضرة وهي العلاقة بين الفكر الإسلامي بالغرب، ومحاولة الوصول لإشكالية التخلف الحضاري الذي تعاني منه الدول الإسلامية، وأهمية الجمع بين الأصالة والمعاصرة.
- ندرة الكتابات حول وضع المنظمات الدينية ؛ لأن جل الدراسات انصبت على دور بعض المؤسسات دون الولوج في معوقات تواصلها مع الغرب، وسبب القطيعة الفكرية.
- فقدان الثقة في الاعتماد على كثير من فقهاء العصر، بسبب توجه البعض منهم نحو الفكر الغربي، مما جعلهم يتحررون من كل القيود الشرعية.

أسئلة البحث:

- ما مفهوم المنظومة الدينية ؟
- ما مفهوم التجديد وضوابطه ؟
- ما معوقات التواصل مع الحضارة الغربية ؟
- ما سبل التواصل مع الحضارة الغربية؟

فرضيات البحث:

- المنظومة الدينية تعد قديمة قدم الفكر ذاته، وإن اختلف حول اسمها.
- انقسام الأشخاص حول فكرة التواصل مع الحضارة الغربية، وكيفية تعامل تلك المنظمات مع معطياتها.
- إمكانية مد جسور التواصل بين المنظمات الدينية والحضارة الغربية.

منهج البحث:

تم استخدام المنهج الاستقرائي في استقراء الآراء والأفكار، ثم استخدمت المنهج التحليلي بغية تحليل هذه الأفكار، والوقوف على النسق العام لهذه الأفكار، وأخيرا المنهج النقدي في بعض الأحيان، لمحاولة نقد بناء لبعض الأفكار.

ثم اتبعت الآتي:

- العناية بسلامة الأسلوب وتيسيره، وسيره على قواعد اللغة العربية.
- مراعاة قواعد الإملاء وعلامات الترقيم مما ييسر فهم المقصود.
- في كتابة المرجع ذكر اسم الكتاب، والمؤلف، والناشر، والطبعة وتاريخ النشر، في حالة ذكره أول مرة، ثم الاقتصار على اسم الكتاب والمؤلف إذا تكرر.
- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها.

-تخريج الأحاديث النبوية مع الحكم عليها.

- عمل خاتمة بها أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة.

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى ثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: ماهية المنظمات الدينية وأنواعها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم المنظمات الدينية

المطلب الثاني: أنواع المنظمات الدينية

المبحث الثاني: المنظمات الدينية بين الإصالة والتجديد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التجديد

المطلب الثاني: ضوابط التجديد للمنظمات الدينية

المبحث الثالث: الواقع والمأمول للمنظومة الدينية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: واقع المنظمات الدينية في الوقت العاصر

المطلب الثاني: موقف المنظمة الدينية من الغرب

المطلب الثالث: موانع التوافق بين المنظمة الدينية والحضارة الغربية

المطلب الرابع: الجهود الفكرية للتواصل مع الحضارة الغربية

ثم الخاتمة وبها أهم النتائج والتوصيات وأردفتها بالمصادر والمراجع

المبحث الأول: ماهية المنظمات الدينية وأنواعها.

المطلب الأول: مفهوم المنظمات الدينية.

مفهوم المنظومة الدينية:

(أ): المنظومة لغة.

المنظومة كل شيء منظوم نظمت أنظم نظيما ونظما، صاحب العين، جمع النظام أنظمة ونظم وقد نظمته فانتظم وتنظم واسم ما نظمته النظم(١)

(ب): المنظومة اصطلاحا.

فالمنظومة مجموعة أفكار ومبادئ مُرتبطة ومنظّمة "يحاول القادة العرب عمل منظومة شرق أوسطيّة للتَّكامل الاقتصاديّ".(٢)

(ج): المنظومة الدينية اصطلاحا .

المنظومة الدينية هي هيئة تسعى لتحقيق أهداف معينة، بحيث لها محددات واضحة، وكذلك بناء وظيفي واضح ومقصود، كما هي عبارة عن منظمة رسمية ذات السمة دائمة والمستمرة كوزارة الأوقاف والشئون الدينية أو المساجد أو المساكن أو الأماكن العبادة الأخرى. (٣)

وتعرف أيضا بأنها:" بأنها عبارة عن آلية ضبط اجتماعي غير رسمي تفرض قوانين على الإفراد بصفة دينية خالصة تهدف إلى تحقيق العدالة والإصلاح ومكافحة الفساد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.(٤)

المطلب الثاني: أنواع المنظمات الدينية.

تهدف المنظومة الدينية إلى تنظيم أفراد المجتمع نحو حياة أفضل وهي نظام من المعايير المتكاملة التي تتسم بالثبات والتنظيم، وتنقسم تلك المنظمات الدينية إلى:

أولا: المنظومة الدينية الإسلامية:

نعرف من قصة التاريخ الإسلامي كيف كانت المجتمعات الإسلامية على مر العصور، ونعرف أيضا أن مصائر المسلمين والإسلام تأرجحت باختلاف الزمان والمكان ؛ بل أحيانا في الزمان والمكان الواحد. وحتى لو قصرنا اهتمامنا على زمان ومكان معنين ثمة مقاييس متنوعة يمكن في ضوئها قياس المجتمعات الإسلامية.. ونحن بصدد دراسة

(١) المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، (٣٦٩/١)

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، (٢٢٣٦/٣)

(٣) هيكلة المؤسسة الدينية وتنظيمها بين الواقع والآفاق، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، لعبيدي ليندة، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة يحيي فاس، المدية، ٢٠٢٢م، ص١٣

(٤) دور المؤسسة الدينية كأداة ضبط اجتماعي، عماد نبق، مجلة التمكين الاجتماعي، المجلد ٠٢ / العدد ٠٤ / ديسمبر ٢٠٢٠، ص١٤٣

ثلاثة مؤسسات دينية وهي المسجد، والجهاد، والخلافة، الأولى مؤسسة دينية والثانية دينية قانونية، والثالثة تجمع بين سمات المؤسستين الأولى والثانية معا[١]

ثانيا: المؤسسة الدينية اليهودية:

تعتبر الديانة اليهودية من أقدم الديانات التوحيدية، ولها دور كبير في فهم طبيعة الديانات الشرق الأدنى،كما لها علاقة قوية بكل من المسيحية والإسلام، بالإضافة إلى أهميتها في فهم التاريخ اليهودي ،والديانة اليهودية تبدأ بمرحلتين مرحلة الآباء وهي مجموعة الشخصيات التي سبقت سيدنا موسى وهم إبراهيم واسحق ويعقوب، وكانت ديانة ومرحلة بسيطة غير معقدة، والمفهوم الديني الوحيد هو مفهوم التوحيد، وكان توحيدا خالصا، والفترة السابقة عليها كانت فترة وثنية، كما أن هذه المرحلة لم تشهد أي نظام عقائدي فقد خلت من الشرائع المنظمة لحياة العبريين، ولما جاء سيدنا موسى كمرحلة ثانية من مراحل تطور الديانة اليهودية، وهي مرحلة اعتمدت على الوحي المكتوب كمصدر أساسي للعقيدة والشريعة [٢] وعرف الإله " يهوه" بصورة واضحة لأول مرة، حيث جاء في سفر عاموس:"الَّذِي بَنَى فِي السَّمَاءِ عَلاَلِيَهُ وَأَسَّسَ عَلَى الأَرْضِ قُبَّتَهُ، الَّذِي يَدْعُو مِيَاهَ الْبَحْرِ وَيَصُبُّهَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، يَهْوَهُ اسْمُهُ"[٣]

كما جاء في سفر الخروج:"وَقَالَ اللهُ أَيْضًا لِمُوسَى: «هكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: يَهْوَهْ إِلهُ آبَائِكُمْ، إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ. هذَا اسْمِي إِلَى الأَبَدِ وَهذَا ذِكْرِي إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ "[٤]

ثالثا: المؤسسة الدينية المسيحية:

تعتبر الديانة المسيحية من أقدم الديانات، وتعتبر الكنيسة أقدم مؤسساتها، وتعتبر الديانة المسيحية امتداد للديانة اليهودية، ثم تطورت لتشمل مفهوم الحركة الإصلاحية وتصحيح للديانة اليهودية، ولقد بقى اليهود ينتظرون المخلص المسيا أو المشيح الذي سيحقق لهم وعد الرب لأبنائه بامتلاك الأرض، وتعتبر «الكنيسة المريمية هي أقدم كنيسة في العالم، يرجع تاريخها إلى ٣٦ و٣٧ ميلادي»، مشيراً إلى أنه كان هناك مسيحيون دمشقيون موجودون في فلسطين، قاموا بنقل مشاهداتهم إلى دمشق وتشكلت أول طريقة

(١) مقدمة قصيرة جدا في التاريخ الإسلامية، آدم جيه سيلفرستاين، ترجمة إيناس المغربي، مؤسسة هنداوي، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص٦٧

(٢) تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن أحمد، درا قباء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ص١٩٣

(٣) سفر عاموس، الإصحاح (٩) الآية (٦)

(٤) سفر الخروج، الإصحاح الثالث، الآية (١٥)

مسيحية كانت تسمى نصرانية في دمشق، يترأسها الأسقف حنانيا، وكان هذا أول أسقف في التاريخ على دمشق

وتعتبر الكنيسة المريمية أكبر كنيسة في الشرق ويوازيها في المساحة كنيسة القديسين بطرس وبولس في مدينة أنطاكية. انتقال الكرسي البطريركي اكتسبت الكنيسة المريمية أهميتها، بحسب زيتون، منذ لحظة انتقال الكرسي البطريركي من أنطاكية إلى دمشق عام ١٣٤٤ م[١]

(١) «المريمية» في دمشق.. أقدم كنيسة في العالم ومقر للكرسي الرسولي، مجلة التبيان، https://www.albayan.ae/culture/art-culture

المبحث الثاني: المنظمات الدينية بين الإصالة والتجديد

المطلب الأول: تعريف التجديد

التجديد سنة من سنن الحياة، والتقليد لا تقوم به حضارة، ولا ترتفع به أمة، لأنها ستقبع في أغلال الماضي، قال القرافي: " الجمود على المنقولات أبدا ضلال في الدين، وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين" [١].

أولا: التجديد لغة:

جد الشيء يجد بالكسر جدة فهو جديد وهو خلاف القديم وجدد فلان الأمر وأجده واستجده إذا أحدثه فتجدد[٢]، وتجدد الشيء: صار جديدا. وأجده وجدده واستجده أي صيره جديدا[٣]الجِدّة، بِالْكَسْرِ: (ضدُّ البِلَى)[٤].

فكل بال كان في أول أمره جديدا فتقادم عليه العهد، وأصابه البلى فجدد بإعادته إلى حداثة نشأته وهذا المعنى بارز من قولهم كقولهم: جدد الوضوء والعهد[٥].

ثم سمي كل شيء لم تأت عليه الأيام جديدا ؛ ولذلك يسمى الليل والنهار الجديدين والأجدين ؛ لأن كل واحد منهما إذا جاء فهو جديد[٦]

فالتجديد في معناه اللغوي تجتمع فيه ثلاثة معان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر:

أولهما: أن الشيء كان في أول الأمر موجودا وقائما وللناس عهد به.

وثانيهما: أن هذا الشيء أتت عليه الأيام فأصابه البلى وصار قديما

وثالثهما: أن ذلك الشيء قد أعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها من قبل فهذا هو التجديد[٧].

ثانيا: التجديد اصطلاحا

(أ) تعريف القدامى للتجديد

التجديد له محورين عند القدماء:

المحور الأول:إحياء ما اندرس من أحكام الشريعة وما ذهب من معالم السنن وخفي من العلوم الدينية الظاهرة والباطنة[٨].

---

(١) الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤هـ)، عالم الكتب، (١٧٧/١).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت، (٩٢/١)، مادة "جدد"

(٣) لسان العرب، (١١١/٣)

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (٤٧٨/٤)، مادة "جدد"

(٥) لسان العرب، (١١١/٣)، تاج العروس، (٤٨٦/٧).

(٦) معجم مقاييس اللغة، (٤٠٩/١).

(٧) مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد السيد، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٣م، ص١٤

(٨) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط١، ١٣٥٦، (٩/١)

وقال العلقمي[١] في شرحه "معنى التجديد إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما"[٢].

ويقول ابن تيمية:" والتجديد إنما يكون بعد الدروس وذاك هو غربة الإسلام[٣].

المحور الثاني: قمع البدع والمحدثات، قال المناوي:" يجدد لها دينها أي يبين السنة من البدعة ويكثر العلم وينصر أهله ويكسر أهل البدعة ويذلهم[٤].

وقال السيوطي:" المراد بتجديد الدين تجديد هدايته، وبيان حقيقته وأحقيته، ونفي ما يعرض لأهله من البدع أو الفتور في إقامته ومراعاة مصالح الخلق وسنن الاجتماع والعمران على شريعته[٥].

(ب)تعريف المحدثين للتجديد

التجديد في حقيقته هو تنقية الإسلام من كل جزء من أجزاء الجاهلية، ثم العمل على إحيائه خالصا محضا على قدر الإمكان[٦].

وعرفه البسطامي" تجديد الدين هو إحياؤه وبعث معالمه العلمية والعملية، التي أبانتها نصوص الكتاب والسنة وفهم السلف[٧].

والتجديد ليس معناه إضافة للدين، أو إبدال أو أن نخترع فيه شيء وفي هذا السياق يقول وحيد الدين خان في بداية كتابه:" إن تجديد الدين لا يعني اختراع إضافة لدين الله، وإنما يعني تطهير الدين الإلهي من الغبار الذي يتراكم عليه، وتقديمه في صورته الأصيلة النقية الناصعة[٨].

لكن من رأيي المتواضع أن التجديد هو تجديد الأفكار والتصورات، وليس تجديد للأصول الثابتة والمعتقدات، وأخذ أدوات الماضي ؛ كي نبني فهما صحيحا ينسجم مع كل الأزمنة والأمكنة، ويجمع بين الأصالة والمعاصرة، وهذا ما سوف نراه جليا في البحث.

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقميّ، شمس الدين: فقيه شافعيّ، (٨٩٧ – ٩٦٩ ه = ١٤٩١ – ١٥٦١ م)، عارف بالحديث، من بيوتات العلم في القاهرة. كان من تلاميذ الجلال السيوطي، ومن المدرسين بالأزهر، من آثاره: حاشية قبس النيرين على تفسير الجلالين، الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير للسيوطي، وملتقى البحرين بين الجمع بين كلام الشيخين. انظر: معجم المؤلفين، (١٤٤/١٠)، الأعلام للزركلي، (١٩٥/٦).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم أبادي (المتوفى: ١٣٢٩ه)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٤١٥ ه، (٢٦٠/١١)

(٣) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨ه)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ه/١٩٩٥م، (٢٩٧/١٨).

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، (٢٨١/٢).

(٥) هذا التعريف نقله أكثر من مؤلف على أنه قول للسيوطي في الجامع الصغير، ولكني رجعت للجامع الصغير لم أجده، وعزاه أيضا محمد رشيد رضا في مجلة المنار إلى السيوطي أيضا انظر: مجلة المنار، محمد رشيد رضا، (١١٥/٣٠).

(٦) موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، دار الفكر الحديث، لبنان، ط٢، ١٣٨٦ه – ١٩٦٧م، ص٥٢

(٧) مفهوم تجديد الدين، البسطامي، ص٢٨

(٨) تجديد الدين، الشيخ وحيد الدين خان، ترجمة الدكتور: ظفر الإسلام خان، ٢٠١٥م، ص٥

المطلب الثاني: التجديد في المنظومة الدينية

أولا: التجديد عند اليهود.

كان بداية هذا التجديد الحركات التجديدية المتحررة التي أقامها اليهود في أوائل القرن التاسع عشر في ألمانيا بقيادة الزعيم اليهودي " ميدلسون" وقد عرفت هذه الحركات باسم اليهودية المتحررة (Liberal Judaism) أو اليهودية التجديدية الإصلاحية، نشأت في ألمانيا في أول الأمر لإقامة التوازن المطلوب بين اليهودية والحياة المعاصرة، فقامت محاولات لجعل الصلوات والأناشيد الدينية ذات جاذبية وخاصة للشباب، وفتح أول معبد يهودي على ضوء التعديلات الجديدة، وألف كتاب صلوات حديثا باللغة الألمانية وجاء في افتتاح المعبد " إن الدنيا تتغير من حولنا فلماذا نتخلف نحن ؟! ومن هذا يتضح مدى مجال التجديد الذي أرادوه لديانتهم اليهودية من تساؤلهم كيف تتغير الدنيا حولهم ولا يقومون بتغيير دينهم كما رسم لهم فلاسفتهم وأخبارهم، ولم تقتصر هذه الحركات على ألمانيا فقط بل تعدتها إلى فرنسا وإنجلترا وأمريكا(١).

ثانيا: التجديد عند المسيحية

لقد اصطدمت الحركات التجديدية في المسيحية بالكنيسة آنذاك، وحدث الاضطهاد الممنهج لتلك الدعوات تمثل في إقامة محاكم التفتيش، واضطهاد رؤساء الإصلاح في أول نشأتهم (٢).

فمن الملاحظ أن مبررات التجديد في المسيحية لها دوافعها وعلى رأس تلك المبررات منها طغيان الكنيسة ورجالها، فالطغيان في ذاته مرض خطير يدمر النفس الإنسانية، ويمسخ سماتها، فهو يبدأ وسيلة خاطئة وينتهي مرضا مدمرا لا شفاء له إلا الموت القاصم.

وقد صدر الطغيان من رجال يراهم الناس قديسين ورسل سلام وطلاب آخرة، فذلك يشق على النفس احتماله، ويبعد عن الذهن قبوله.

ومن مظاهر طغيان الكنيسة بادعاء حقوق لله لا تملكها، مثل حق الغفران وحق الحرمان، وحق التحلة فهو حق خاص يبيع للكنيسة أن تخرج عن تعاليم الدين وتتخلى عن الالتزام به متى اقتضت المصلحة، وكل هذا يتعارض مع تعاليم المسيح. ولقد ظهرت حركة الإصلاح الديني في مطلع القرن السادس عشر في ألمانيا على يد مارتن

(١) اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، حمد بن صادق الجمال، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤١٤ه – ١٩٩٤م، (٥٤٩/٢).
(٢) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، محمد عبده، دار الحداثة، ط٣، ١٩٨٨م، ص١٢٠

لوثر كحركة سياسية واجتماعية وثورية، ورفض مارتن لوثر فكرة الكنيسة القائمة على رجال الدين، وفكرتها بأنها تكفر ذنوب الإنسان عن طريق الطقوس الدينية وصك الغفران، وأن خلاص الإنسان في الإيمان، فتهدف حركة لوثر في القضاء على الكنيسة البيروقراطية التي تكاملت خلال العصور الوسطى، والعودة إلى المسيحية البسيطة دون التنظيم الكنسي والطقوس الدينية، ودون التملك الاقطاعي لرجال الدين [١].

وأردت من هذه المقدمة أن أوضح أن التجديد كان ضد رجال الدين أو بمعنى أوضح ضد الكنيسة لما مارسته الكنيسة آنذاك، حتى لا يدعي البعض أن أوروبا بسبب تجديدها وثورتها على الكنيسة أصبحت مهدا للحضارة الآن، فلابد من تسليط الضوء على الواقع لنعرف مبررات التجديد في المسيحية.

ثالثا: التجديد خلال عصور الإسلام

التجديد لم يكن وليد اللحظة، بل هو قائم على مدار تاريخ الإسلام من عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تسلَّم الصحابة منصب الأستاذية في هذا، وتتابع عليه أَهلوه من علماء الشريعة على توالي العصور، بالتفقه وبذل الجهد الفِكري. وبه: استمر دُولاب الحياة مترابط الحلقات بالدِّين، وحبل الله المتين، وصار جسراً ممتداً في الإسلام، معلناً الخلود والنفاذ واستلهام الحوادث والواقعات، والصمود أَمام ظروف الحياة ومواجهات العصور وإذا سبرت الحال لميزان عصور القوة والنضوج والترقي من عصور الضعف والتهري، حملك هذا إلى معرفة مدى توفر العقول الحاملة لملكة الاجتهاد الحقيقي في الأُمة، الذي يسعى به مكتمل أَدواته إلى ما يريده الله من عباده[٢].

فالأمة الإسلامية كانت عبر عصورها رائدة في كل مجالات العلوم، أمة تواكب التقدم، بل لها الصدارة في ذلك، والناس لها تبع، يوم كانت الأمة تعلم المقصد الذي بعثت من لأجله فالتزمت الأمر وسلكت المنهج، بتمسكها بدين ربها، فلما طال عليها الأمد، تخلت عن مصدر عزها، تراجعت وتدهورت أحوالها، فصار العز ذلا، وآل التقدم إلى تخلف، فتكالب عليها الأمم، وتراجعت إلى الصف الآخر بين الأمم، وسوف نوضح أن التجديد عملية مستمرة إلى يوم أن تقوم الساعة.

لقد فُتح باب الاجتهاد والتجديد، ولم يبق محتكرا على رجال الدين بل فتح بابه لكل الناس واشترك فيه رواده من سائر الأجناس، ولقد ضرب النبي في هذا مثلا عظيما في غزوة

(١) موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، مفيد الزيدي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط٣، ٢٠٠٩م، ص٤٢٤

(٢) المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، دار العاصمة – مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ط١، ١٤١٧ ه، (٧٨/١).

بدر، إذ جعل كل من لا مال له من الأسارى يقبل منه أن يعلّم عشرة من غلمان أهل المدينة الكتابة، فإذا حذقوه كان فداءه، فيومئذ تعلّم زيد بن ثابت الكتابة في جماعة من الأنصار. ومن هنا تعلم أن النبي صلّى الله عليه وسلّم كان حريصا على تعليم الكتابة التي هي التمدن الأوّلى للنوع البشري(١).

وكان المسلمون يأخذون أمر الدين باعتدال، وقد أراد بعضهم أن يأخذه بالغلو، فقال له النبي:" «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلَا تُبَغِّضْ إِلَى نَفْسِكَ عُبَادَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى»(٢).

فلما مات النبي سار المسلمون بعده في الحكم والدين والعلم على ما سنه الإسلام لهم، ومضوا في أوائل القرن الأول الهجري يجددون في الحكم والدين والعلم، وظهر فيهم من المجددين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسين بن علي وخالد بن يزيد، ثم استبد فيهم بنو مروان، ورجعوا بهم إلى أحوال الجاهلية، فصاروا إلى الجمود في الدين والعلم، ولم يظهر من المجددين إلا عمر بن عبد العزيز في ختام ذلك القرن (٣).

وقد ذكر محمد رشيد رضا بعض المجددين على مر تاريخ الإسلام فقال:" إنما كان المجددون يُبعثون بحسب الحاجة إلى التجديد لما أبلى الناس من لباس الدين، وهدموا من بنيان العدل بين الناس، فكان الإمام عمر بن عبد العزيز مجددًا في القرن الثاني لما أبلى قومه بنو أمية وأخلقوا، وما مزقوا بالشقاق وفرَّقوا، وكان الإمام أحمد بن حنبل مجددًا في القرن الثالث لما أخلق بعض بني العباس من لباس السنة، ورشاد سلف الأمة، باتباع ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وتحكيم الآراء النظرية في صفات الله وما ورد في عالم الغيب، بالقياس على ما يتعارض في عالم الشهادة، وكان الشيخ أبو الحسن الأشعري مجددًا في القرن الرابع بهذا المعنى، وحجة الإسلام أبو حامد الغزالي مجددًا في أواخر القرن الخامس وأول السادس لما شبرقت نزغات الفلاسفة وزندقة الباطنية، والإمام أبو محمد علي بن حزم الظاهري في القرن السادس لما سحقت الآراء من فقه النصوص الشرعية، وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم مجددين في آخر القرن السابع وأول الثامن لجميع ما مزَّقت البدع الفلسفية والكلامية والتصوفية والإلحادية، من حلل الكتاب والسُّنة السَّنية، في جميع العلوم والأعمال الدينية، وحسبنا هؤلاء الأمثال في

(١)نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي (المتوفى: ١٢٩٠ه)، دار الذخائر – القاهرة، ط١، – ١٤١٩ ه، ص٢٣٣

(٢) أخرجه البيهقي في سننه، كتاب الصلاة، باب القصد في العبادة، والجهد في المداومة، برقم (٤٧٤٣)، (٢٧/٣)، لقد ضعفه الألباني انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، (٤٤٧/١).

(٣) المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ١٤١٦ه – ١٩٩٦م، ص١٩

التجديد الديني العام. وظهر مجددون آخرون في كل قرن، كان تجديدهم خاصًّا انحصر في قطر أو شعب[١].

رابعا: التجديد في العصر الحديث.

لابد أن نعترف أن هناك أزمة في الفكر الإسلامي، ولا أحد ينكر أن الفكر الإسلامي قد خلع عن عرشه، وانحسر ظله عن أغلب مملكته –إن ضعفا أو قسرا – وبخاصة في مساحات وتنظيم الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والمعرفي للمجتمع، ولقد حل محله فكر غريب عن الصبغة والمعايير والضوابط الإسلامية، وهذا الموروث وهذا الفكر الغريب قد أحدثا أزمة في الفكر الإسلامي، وهذا له أسبابه في القصور الناشئ عن الافتقار إلى إعمال قانون التجديد... ومنا ما هو فكري ومنها ما هو مادي اقتصادي واجتماعي، فلا خلاف على ضرورة أهميته ؛ بل على وجوب أن ينفر كل قوم من فكري الأمة في عصرنا الراهن فيعكفون على صياغة الإسلام كبديل حضاري للنموذج الغربي، وكبديل أيضا لفكرية التخلف الموروث، التي تفل قدرات الأمة وتقيد خطاها وتفقدها القدرة على الإبداع، لهذا كان لابد من ظهور مجددين في كل عصر[٢].

وكان أول من حمل لواء التجديد في مصر جمال الدين الأفغاني ممثلا لمدرسة الإصلاح، وسوف نبرز ملامح منهجه في هذا النقاط:

- تنقية الإسلام مما علق به من الشوائب
- طرح ما طرأ على الإسلام من عادات غريبة في السلوك والرجوع إلى موقف المسلمين الأول من القرآن، واستلهامهم التوجيه منه مباشرة لطبع تصرفاتهم بالطابع الإسلامي.
- تقريب مبادئ الإسلام من العقلية الإسلامية الحديثة، والتنديد بالمثقفين الذين يصطنعون أساليب الغرب [٣].

ثم جاء تلميذه محمد عبده، وقد حدد هدفه من الإصلاح الديني عندما قال عنه " تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف هذه الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، واعتباره ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه، وتقلل من خلطه وخبطه ؛ لتتم حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني، وأنه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم، باعثا على البحث في أسرار

(١) مجلة المنار، محمد رشيد رضا، (٢/٣٢).

(٢) **انظر: معالم المنهج الإسلامي محمد عمارة، دار الشروق، ط٢، ٢٠٠٩م، ص١٤ وما بعدها**

(٣) اتجاهات الفكر الإسلامي في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، دار عالم الكتب، السعودية، ط١، ١٤١٤ه – ١٩٩٤م، ص٦٣-٦٤

الكون، داعيا إلى احترام الحقائق الثابتة، مطالبا بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل [١].

وهذه الحركة التجديدية، والتي كان لمحمد عبده الفضل الأكبر في تأسيسها، تنطلق من كون الإسلام دينا عاما يناسب البشر جميعا، ويلائم جميع العصور والثقافات، وأن هذه الحركة ترتكز على فكرة ضرورة تحرير فهم الدين من قيود التقليد الممعنة في الجمود، والتي لم تعد تناسب العصر، ومن ثم ضرورة القيام بإصلاحات تجعل الإسلام منسجما مع متطلبات الحياة الحديثة وتعقيداتها، وفهم الدين في بساطته على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف وكسب معارفه من ينابيعها الأولى، واعتبارها ضمن موازين العقل البشري، والتي وضعها الله لتضبطه وترد من شططه[٢].

ثم تسلم الراية بعد محمد عبده، الشيخ محمد رشيد رضا، حيث كان الشيخ رشيد رضا أكبر تلامذة الأستاذ الإمام محمد عبده، وخليفته من بعده، حمل راية الإصلاح والتجديد، وبعث في الأمة روحًا جديدة، تُحرِّك الساكن، وتنبه الغافل، لا يجد وسيلة من وسائل التبليغ والدعوة إلا اتخذها منبرًا لأفكاره، ودعوته ما دامت تحقق الغرض وتوصل إلى الهدف[٣].

المطلب الثالث: ضوابط التجديد في المنظومة الدينية

الضابط الأول: ضابط الثابت والمتغير

(أ) الثابت.

الثابت في الإسلام هو ما لا يتغير بتغير الزمان والمكان، ولا يسوغ ان يكون محل اجتهاد، فأحكامه ثابتة باقية مهما تطورت الحياة، لأن المصالح التي روعت في تشريعها ثابتة، وما بنى على الثابت فهو ثابت، والمتغير هو ما يتغير بتغير الزمان والمكان، ولقد ترك الإسلام للعقل البشري مجالا للاجتهاد في ضوء المصالح العامة على أن لا يخرج ذلك عن الأسس والقواعد التي جعلها الإسلام أصولا عامة [٤].

ومواطن الثبات في الشريعة تتمثل في العقيدة والعبادات، والحدود والمقدرات على النحو التالي:

---

(١) الإمام محمد عبده، مجدد الدنيا بتجدد الدين، محمد عمارة، دار الشروق، ط٢، ١٤٠٨ه – ١٩٨٨م، ص٥٥.

(٢) الإسلام والتجديد في مصر، تشارلز آدمس، Islam Modernism in Egypt By: Adams.Charles C ترجمة عباس محمود العقاد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥، ص١٢.

(٣) مجلة المنار، ترجمة صاحب المجلة، ص٥.

(٤) معالم الهدى في فهم الإسلام، مروان إبراهيم القيسي، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ط١، ١٤٠٦ه – ١٩٨٥م، ص١١٧.

١- **العقيدة:** فهي ليست مجالا للتطور لأنها مؤسسة على مبادئ ثابتة، وحقائق لا تقبل التغير والتبدل بحال، فالإيمان بالله مثلا مبدأ أصيل وحقيقة يقينية لا محل لتغيرها، ومن هنا فرق العلماء بين الدين والشريعة فالدين – المراد منه العقيدة- واحد لكل الأنبياء، ابتداء بآدم وانتهاء بمحمد مرورا بكافة الرسل والأنبياء، أما شرائعهم مختلفة ومتفاوتة ومن هنا قال العلماء " الدين واحد والشرائع مختلفة".

٢- **العبادة:** العبادات قد رسم الله حدودها، وطلب من عباده أن يعبدوه بها، ولا يجوز لأحد أن يؤلف عبادة من عنده، وبهذا الأصل قد أبطلت البدعة في الدين والعبادات، فمن أراد أن يتقرب إلى الله فعليه أن يتقرب إلى الله بما شرعه الله، وغير ذلك فهو بدعة.

٣- **أحكام الحدود:** كحد الزنى وحد السرقة وحد القذف وحد الردة وحد الشرب، فهي ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان، ولعل أسباب ثبوتها أهميتها وخطورتها فهي شرعت للحفاظ على الدين والعقل والنسل والمال والعرض، لذلك لم تترك لاجتهاد البشر.

٤- **أحكام المقدرات:** كتقدير حصص الورثة بنصف أو ثلث أو ربع أو ثمن أو غير ذلك، فإن هذه الحصص غير قابلة للتطوير والتعديل [١].

(ب) المتغير (المرونة)

خاصية المرونة في الشريعة هي أن الله اودع في هذه الشريعة من عوامل الخصوبة والحيوية والإثراء، ما يجعلها صالحة للنماء والتجدد الذاتي، وقادرة على مواجهة مختلف التقلبات الزمانية والمكانية والبيئية، والأحكام التي ربطها الشارع بعللها وأسبابها، فحين تتغير العلة أو السبب، فيعني ذلك أن الواقعة قد تتغير، فيتغير حكمها تبعا لذلك، ولا يعقل أبدا اختلاف الحكم الشرعي في واقعتين متماثلتين في الحقيقة مشتركتين في العلة والسبب[٢].

لهذا مجال المتغير في الشريعة كثير جدا، فمثلا المعاملات مجال فسيح جدا للتطور، فالإسلام قد رسم الحدود والخطوط العريضة من الأحكام الاجتماعية والاقتصادية والجنائية، وترك التفصيلات والتطبيقات للمجتهدين، يجيلون فيها بعقولهم بما يوافق مصلحة الناس، وإذا قيدوا العبادات وذكروا أن الله لا يعبد إلا بما شرع، فقد وضعوا في

(١) معالم الهدى في فهم الإسلام، مروان إبراهيم القيسي، ص١١٨.
(٢) التجديد في الفكر الإسلامي، عدنان محمد إمامة، ص٢٩.

المعاملات قاعدة أخرى مقابلة لها تقول " المعاملات طلق حتى يرد المنع، وهذا ما ذكره ابن القيم حيث قال: هناك نوع من الأحكام غير المقدر فهذا الذي يدخله اجتهاد الأئمة بحسب المصالح، ولذلك لم تأت فيه الشريعة بأمر عام، وقدر لا يزاد فيه ولا ينقص كالحدود، ويرجع فيه إلى اجتهاد الأئمة في كل زمان ومكان بحسب المصلحة[١]

وعلى العموم، فإن على من يتصدر للتجديد مراعاة هذا الضابط في هذا العصر الذي كلت فيه الهمم وضعف فيه التدين، وندر فيه أولئك الراغبون في عظام الأمور، وعزائم الأفعال حفاظا على الثوابت.

الضابط الثاني: الاعتصام بمقاصد الشرع فهما وتنزيلا

لابد لمن يتصدر للعلماء المتصدرين للتجديد أن يربطوا بين الأحكام ومقاصدها ومراميها، فقلما يورد الشرع تحريما دون بيان القصد منه، كما أن الواجبات الشرعية من صلاة وصيام وزكاة لها مقاصد وغايات، وفي هذا تنبيه باستحضار المجددمقاصد الشرع وإبرازها للمستفتي قدر الاستطاعة

ودرجة الاجتهاد موقوفة على فهم مقاصد الشريعة، وهذا ما وضحه الشاطبي حيث قال:"أن درجة الاجتهاد إنما تحصل ممن اتصف بوصفين:

أحدهما: فهم مقاصد الشريعة على كمالها، فالشريعة مبنية على اعتبار المصالح، وأن المصالح إنما اعتبرت من حيث وضعها الشارع كذلك، لا من حيث إدراك المكلف؛ إذ المصالح تختلف عند ذلك بالنسب والإضافات.

والثاني: الممكن من الاستنباط بناء على فهمه فيها، فهو كالخادم للأول؛ فإن التمكن من ذلك إنما هو بواسطة معارف محتاج إليها في فهم الشريعة[٢].

ويعلق المحقق على كلام الشاطبي بقوله:" إن التمكن من الاستنباط على معارف وعلوم كثيرة، وإنه خادم للأول وهو فهم مقاصد الشريعة؛ فقوله: "وإنما يفتقر إلى الاطلاع على مقاصد الشريعة خاصة دون شيء من تلك العلوم" لا يتأتى مع سابق الكلام؛ لأنه على ما تقدم لا بد له من هذه المعارف كوسيلة إلى فهم مقاصد الشريعة على الأقل، وإن لم يحتج إليها عند التخريج، وإنما يصح ذلك إذا صح أن يأخذ مقاصد الشريعة تقليدا[٣].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، (٨٤/٢).

(٢) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، (٤١/٥)

(٣) انظر: الموافقات ، من كلام المحقق أبو عبيدة مشهور بن حسن ال سلمان (٥٠/٥).

فالممارسة والتبع لمقاصد الشريعة تكسبه قوة يفهم منها مراد الشرع من ذلك وما يناسب أن يكون حكما له في ذلك المحل[١].

الضابط الثالث: الالتفات لمآلات الأفعال

مع أهمية الضابط السابق وهو استحضار المقاصد كضابط منهجي مهما ينبغي المجدد الالتزام به والصدور عنه، فإن الالتفات إلى المآلات التي تؤول إليها الأحكام يعد هو الآخر ضابطا في غاية الأهمية والموضوعية، ذلك لأن التفاته إلى المآلات يعصمه من المجازفة بالإفتاء قبل التثبت والتفكر في الآثار النفسية والاجتماعية والسياسية التي يمكن أن تنتج عن إفتائه، كما أن الالتفات إلى المآلات عند الهم بالإفتاء يصيّر المجدد معالجا مخلصا في فتواه

المجدد الخبير بأحوال الناس وما هو مصلح لهم وما هو مفسد، ينظر دوما في مآلات فتياه وعواقبها، فإن ظهر له بغلبة الظن والمعتاد من أحوال الناس أن مآلها الضرر وتحقيق ما فسد في حق المستفتي أو غيره، سلك في تقرير فتياه ما يحقق المصالح ويدفع المفاسد، ولهذا كان من اللائق أن يشدد أحيانا على السائل فيمنعه من بعض المباح إذا خشى أن يكون في فتح هذا الباب له باطلاق تسرعه في الوقوع في المحرمات والتساهل فيها.

وهذا ما أكد عليه الشاطبي حيث قال:" النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، مشروعا لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك، فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية، فربما أدى استجلاب المصلحة فيه إلى المفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعا من إطلاق القول بالمشروعية وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم مشروعية ربما أدى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد، فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية وهو مجال للمجتهد صعب المورد، إلا أنه عذب المذاق محمود الغب، جار على مقاصد الشريعة[٢]

(١) الإبهاج في شرح المنهاج،(منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفي سنه ٧٨٥هـ)، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيى السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، دار الكتب العلمية -بيروت، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥ م. (٨/١).

(٢) الموافقات، الشاطبي، (١٧٧/٥).

فمثاله في العلماء مثال الطبيب العالم الناصح في الأطباء يحمي العليل عما يضره، ويصف له ما ينفعه، فهذا شأن أطباء الأديان والأبدان[١]

وتأسيسا على ذلك فإنه يجب على المجدد أن يتعرف على مآلات الأفعال، وهذا يتوقف على معرفته لأحوال الناس، وكذلك معرفة الواقع الفكري والسياسي والاجتماعي والثقافي السائد الذي يعيش فيه الناس.

الضابط الرابع: عدم الخضوع للأهواء

من أشد المزالق خطرا على المجدد أن يتبع الهوى، سواء هوى نفسه، أو هوى غيره، وبخاصة أهواء الرؤساء واصحاب السلطة، الذين ترجى عطاياهم، وتخشى رزياهم، فيتقرب الطامعون والخائفون بتزييف الحقائق، وتبديل الاحكام، وتحريم الكلام عن مواضعه إتباعا لأهوائهم، ولإرضاء لنزواتهم، أو مسايرة لشطحاتهم ونطحاتهم، ولقد حذر الله أشد التحذير من اتباع الهوى حيث قال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾[٢]

وجاء في سورة المائدة أيضا (وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ [٣]

والعجيب أن هذا الصنف يحاط عادة بهالة من الدعاية تستر جهله، وتغطي انحرافه، وتنفخ فيه ليكون شيئا مذكورا، وتحدث حوله ضجيجا يلفت إليه الأسماع، ويلوي إليه الأعناق، وإن كان هذا لا يجعل من جهله علما، ولا من فجوره تقوى[٤]

وقال القرافي:" ولا ينبغي المجدد إذا كان في المسألة قولان: أحدهما فيه تشديد، وآخر فيه تخفيف، أن يفتي العامة بالتشديد، والخواص من ولاة الأمور بالتخفيف، وذلك قريب من الفسوق، والخيانة في الدين، والتلاعب بالمسلمين،

(١) إعلام الموقعين، ابن القيم، (١٢٢/٤).
(٢) سورة الجاثية، الآيتان (١٨-٢٠)
(٣) سورة المائدة، الآية (٤٩)
(٤) الفتوى بين الانضباط والتسيب، ص٦١

ودليل فراغ القلب من تعظيم الله، وإجلاله وتقواه، وعمارته باللعب وحب الرياسة، والتقرب إلى الخلق دون الخالق، نعوذ بالله من صفات المنافقين [١]

الضابط الخامس: مخاطبة الناس بلغة العصر

فمن الضوابط المهمة التي ينبغي على المجدد المعاصر التزامها:أن يخاطب الناس بلغة العصر التي يفهمون متجنبا المصطلحات الصعبة، وخشونة الألفاظ الغربية، متوخيا السهولة واليسر[٢] **قال تعالى:** ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [٣]، لهذا قال سيدنا على رضى الله عنه:" «حدثوا الناس، بما يعرفون أتحبون أن يكذب، الله ورسوله»[٤]

ولغة العصر تتطلب عدة أشياء، يجب على المجدد أن يراعيها:

١- أن يعتمد على مخاطبة العقول بالمنطق، لا على إثارة العواطف بالمبالغات

٢- أن يدع التكلف في استخدام العبارات بالأساليب

٣- أن يذكر الحكم مقرونا بحكمته وعلته، مربوطا بالفلسفة العامة للإسلام.فإلقاء الفتوى مجردة من حكمة التشريع، وسر التحليل والتحريم يجعلها جافة، غير مستساغة لدى كثير من العقول.

(١) الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس المصري المالكي، (٦٨٤) اعتنى به عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤١٦ه – ١٩٩٥م، ص ١٣٣

(٢) ضوابط فقه النوازل، عبد الله بن محمد اللاحم، موقع مسلمhttps://:net.almoslim

(٣) سورة إبراهيم، رقم (٤)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، برقم (١٢٧)، (٣٧/١).

المبحث الثالث: الواقع والمأمول للمنظومة الدينية

المطلب الأول: واقع المنظمات الدينية في الوقت العاصر

لقد شهد عصرنا نهضة علمية واسعة في مجال الدراسات الإسلامية، وقامت جامعات ومعاهد ومؤسسات لتدريس العلوم الإسلامية في مناطق كثيرة من بلاد العرب والإسلام، وذاب جليد الركود الذي ساد الفكر الإسلامي طول عصور التخلف، وتمخض هذا عن فئات ثلاث من الفئات:-

- فئة تشبثت بالقديم كله، على ما فيه من شوائب وانحرافات
- فئة تبنت الجديد كله، بما فيه من نقائض وسيئات.
- فئة وقفت موقف الوسط، وقالت: نتمسك بكل قديم نافع، ونرحب لكل جديد صالح.

وفي وسط هذه الدوامة من صراع الأفكار، وتدافع التيارات، كان لابد من أن تتأثر الفتوى والمتصدرون لها بهذا الواقع -شاء أم أبى – لا يستطيع أن ينفصل عن مكانه وزمانه، والمفتون في أي عصر معرضون للخطأ بحكم بشريتهم ، وعدم ضمان العصمة لهم، ولكن المؤثرات الفكرية والنفسية والاجتماعية والسياسية في عصرنا أشد منها في أي عصر مضى، ومن هنا تكثر المزالق التي تزل فيها الأقدام، وتضل الإفهام، وتتعدد أسباب الخطأ إن لم نقل: الانحراف، والضرر المخوف من الخطأ أو الانحراف في فتاوى عصرنا أشد منه في أزمنة سلفت، نظرا لسعة الدائرة التي تنتشر فيها الفتوى الخاطئة أو المنحرفة، بواسطة وسائل الإعلام الحديثة [1]

ولهذا قد تعددت مناهج المفتيين المعاصرين متأثرين بالأجواء المعاصرة سلبا وإيجابا واندماجا وانصهارا وانعزالا على النحو التالي:

أولا: موقف أهل التمييع الخاضعين لسلطان الحكم أو عامة الناس لأي سبب كان؟ سواء أكان رغبة في الجاه والسلطان والمال لدى الحكام أو في القبول لدى العامة ووصفهم بالتقدمية والتنوير، أو رهبة في الظلم والإيذاء وخوفا مما يصيبهم بسبب مواقفهم، فهؤلاء أحلوا ما حرم الله وحرموا ما أحل الله حسب الأهواء والرغبات.

ثانيا: موقف أهل التبرير والتأويل والاستغراق في المراحل الدفاعية، أي الدفاع بما يتفق وما تريده العصرنة والعلمنة، فهؤلاء هم يحبون الإسلام ويدافعون عنه، ولكنهم بسبب ضعفهم الفكري يخضعون لسلطان الدعاية والإعلام فيؤولون نصوص الشريعة بتكلف

(١) الفتوى بين الانضباط والتسيب، يوسف القرضاوي، دار الشروق، ص٥٠، وانظر أيضا: مزالق المتصدين للفتوى في العصر الحديث، تاريخ النشر: خميس، ٢٠٠٦/٢٢/٠٦ – الموقع الرسمي للدكتور يوسف القرضاوي، https://www.al-qaradawi.net

حتى تتفق مع ما يريده أهل العصر، أو بعبارة أخرى محاولة الأخذ بعنق النص وليّه لصالح ما يريد.

ثالثا: موقف الجمود والظاهرية الحرفية المنعزلين، وهؤلاء على فريقين:

(أ) فريق يرى العزلة خيرا من الاختلاط فينشغل بنفسه ويعيش في برجه العاجي فيعيش في عزلة تامة عن مجتمعه، وهذا موقف سلبي غير مقبول شرعا، إذ على العالم أن يبيّن حكم الله تعالى، ويسعى جاهدا لبيانه وإلا كان آثما ما دام قادرا، ولا يتم ذلك إلا بالخلطة والتعرف على أحوال الناس وحاجاتهم ومعاملاتهم، ثم الفتوى على ضوء العلم والواقع.

(ب) فريق آخر لا ينعزل عن المجتمع ببدنه ولكنه منعزل بعيد عن فكره وعقله وآرائه وفتواه، فهو يعيش في عالمه الخاص، والعالم يعيش في واد آخر غير مراع لكل ما حدث من تقدم رهيب في الصناعات والاتصالات والمنتجات...الخ.

رابعا: منهج الوسطية والتأصيل والتجديد، وهذا هو موقف أصحاب المنهج الوسطي بين الإفراط والتفريط، القائم على الجمع بين ما يقتضيه الواجب، ويفرضه الواقع، بين الثوابت والمتغيرات، بين الأصالة والمعاصرة، بين الاعتماد على الوحي والنقل الصحيح والعناية القصوى بما يقتضيه العقل السليم، بين الفهم الصحيح للنصوص والوعي العميق بالواقع، وهذا هو المنهج الصحيح لعلاج القضايا المعاصرة والنوازل المستجدة، وبه يستطيع المجدد أن يبين أحكام الله وشرعه المبين للناس أجمعين، ويؤدي واجب البلاغ بما يقرب الإسلام الصحيح إلى القلوب، فلا ينعزل عن المجتمع ليعرف ما لديه وما يحتاجه للحكم الشرعي، ولديه الإيمان الراسخ بعظمة يدينه فلا يخجل من بيان حكمه، وإن كان بعضها غريبا لدى البعض، فالمهم أن يكون منهج الافتاء صحيحا والحكم الصادر قائما على فهم الواقع مع الاستعانة بالآخرين للبيان والتوضيح [1]

المطلب الثاني: موقف المنظمة الدينية من الغرب

لقد تباينت المنظمة الدينية في موقفها من الحضارة الغربية، بثلاثة اتجاهات: اتجاه معادي، ورافض لكل ما هو اجنبي، وقف موقف المعارض الثائر وعلى النقيض منه اتجاه منفتح قبول كامل لكل ما هو نفع وضار، والثالث اتجاه وسط.

(١) الفتوى بين النص والواقع، والثابت والمتغير الضوابط والأحكام، على محي الدين القرة داغي، بحث بمجلة مجمع الفقه الإسلامي، الدورة السابعة عشرة، الطبعة الأولى، العدد السابع عشر، المجلد الأول، ١٤٣٠ه – ٢٠٠٩م، ص٦٣١ وما بعدها.

أولا: الاتجاه الأول:

وهو الاتجاه الرافض لكل ما هو أجنبي، فبالتالي لا يوجد جسور تواصل بين الغرب، لأنه يعتبر الغرب الكافر، وهو أن يرفض المسلمون هذه الحضارة وما جاءت به، ولا يقتبس منها شي، ولا ينتفع بتجارب الغرب، ولا يستورد شيئا من الصنائع والبضائع وأدوات الحرب، وهذا عاقبته بلا ريب التخلف عن ركب الحياة، والانقطاع عن باقي الأمم وهو مخالف لأصول الإسلام ومبادئه، كما أنه غير ممكن، لو حاول ذلك قطر من الأقطار تسريب الحضارة إلى أسر هذا القطر وبيوته كما يتسرب الماء القرية أو المدينة إذا أحاط بها السيل من كل جانب، وطغى عليها الفيضان، كما إن هذا الاتجاه يعيش في عزلة عن العالم المعاصر(١)

ثانيا: الاتجاه الثاني:

وهو الاتجاه المنفتح لكل ما آت من الغرب، بل إنه قد يتعاون مع الغرب ضد بني ملته، ومن أمثلة هؤلاء النصارى العرب والمستغربين كطه حسين وعلى عبد الرازق وقاسم أمين وزكي نجيب محمود، وفي كتاب مستقبل الثقافة لطه حسين هذه النزعة حيث يقول:" السبيل إلى ذلك ليست في الكلام يرسل إرسالا، ولا في المظاهر الكاذبة والأوضاع الملفقة، وإنما هي واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء وهي واحة ليس فيها تعدد وهي: أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب(٢)

وهذا الاتجاه تسبب في تنازل العالم الإسلامي – بما فيه العالم العربي – منذ زمن طويل عن مكانته في القيادة العلمية والتوجيه، والاستقلال الفكري، وأصبح عيالاً على الغرب متطفلاً على مائدته حتى في اللغة العربية وآداب اللغة وعلومها، وحتى في علوم الدين كالتفسير والحديث والفقه. وأصبح المستشرقون هم المرشدين الموجّهين في البحث والتحقيق، والدراسة والتأليف، وهم المنتهى والمرجع والحجة في الأحكام والآراء الإسلامية والنظريات العلمية والتاريخية، وهم الأسوة في النقض والإبرام. وعدد كبير منهم قسوس وإرساليون ويهود ومسيحيون متعصبون، يضمرون للإسلام وصاحب رسالته – صلى الله عليه وسلم – العداء والبغضاء، وللحضارة الإسلامية السخرية

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية، والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، أبو الحسن بن الحسن الندوي، دار الندوة للنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٨٨ه – ١٩٦٨م، ص١٤

(٢) مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، دار المعارف، الطبعة الثانية، ص٣٩

والاستهزاء، ويخونون في النصوص والنقول، ويحرّفون الكلم عن مواضعه. ومنهم عدد لم يتقن اللغة العربية ولم يبرع فيها، وهم يخطئون في فهم النصوص وترجمتها أخطاء فاحشة، وقد تغلغلت أفكارهم ودعاياتهم في الأوساط العلمية الحديثة في العالم الإسلامي وتجلت بصورة واضحة في الدعوة إلى فضل الدين عن السياسة، وأن الدين قضية شخصية لا شأن له بالمجتمع، وفي الدعوة إلى تغيير مفهوم الدين وأحكام الشريعة الإسلامية على أساس الحضارة الغربية وفلسفتها.. إلى غير ذلك من الأفكار التي يدعو إليها تلاميذ المستشرقين والخاضعون لهم في الشرق الإسلامي. (١)

ثالثا: الموقف الوسط:

وهذا الموقف يقبل النافع ويرفض الضار، ليس في مجال التقنية الحديثة فقط، بل في الأفكار والنظريات التي لا تتعارض مع أصول الإسلام، وهذا الموقف هو موقف العلماء قديما، حيث قال الشافعي:" وما وجد من كتبهم فهو مغنم كله وينبغي للإمام أن يدعو من يترجمه فإن كان علما من طب أو غيره ولا مكروه فيه باعه كما يبيع ما سواه من المغانم وإن كان كتاب شرك شقوا الكتاب وانتفعوا بأوعيته وأداته فباعها ولا وجه لتحريقه ولا دفنه قبل أن يعلم ما هو(٢)

وهذا أيضا ما ذكره ابن تيمية:" ثم إنه لما عربت الكتب اليونانية في حدود المائة الثانية وقبل ذلك وبعد ذلك وأخذها أهل الكلام وتصرفوا فيها من أنواع الباطل في الأمور الإلهية ما ضل به كثير منهم وفيها من أمور الطب والحساب ما لا يضر كونه في ذلك وصار الناس فيها أشتاتاً قوم يقبلونها وقوم يحكون ما فيها وقوم يعرضون ما فيها على أصولهم وقواعدهم فيقبلون ما وافق ذلك دون ما خالفه وقوم يعرضونها على ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة وحصل بسبب تعريبها أنواع من الفساد والاضطراب(٣)

كما يمثل هذا الاتجاه في العصر الحديث كثير من العلماء، وفي هذا السياق يقول ابن باز:" إن الأفكار والنظريات المستوردة فيها الحق والباطل فلا يجوز للمسلمين أن يقبلوها مطلقا ولا أن يردوها مطلقا بل الواجب هو التفصيل في ذلك، فما كان منها حقا أو نافعا للمسلمين مع عدم مخالفته لشرع الله سبحانه فلا مانع من قبوله والانتفاع به لأن الإسلام هو دين الله الكامل الذي دعا إلى كل خير وإلى كل إصلاح ونهى عن كل ما

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة الإيمان، المنصورة – مصر، ص٢٣٧

(٢) الأم، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، دار المعرفة – بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، (٢٧٩/٤)

(٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ، (٣٣٨/٢)

يضر المسلمين ويفسد مجتمعهم، وأمر أهله أن يحرصوا على ما ينفعهم ويستعينوا بالله على ذلك.... فالأفكار النافعة والنظريات الصحيحة قد جاء بها الإسلام ودعا إليها فليست مستوردة عليهم بل هو السابق إليها وإن خفيت على بعض أتباعه وظنوا أنها مستوردة من أعدائه، وإنما قصارى ما يأتي به الأعداء من الأفكار الصحيحة والنظريات الموافقة للشرع أن يذيعوها بين الناس ويلبسوها لباسا يوهم أنها من عندهم وأنهم مبتكروها والدعاة إليها وليس الأمر كذلك، وإنما الفضل في ذلك للإسلام[١]

المطلب الثالث: موانع التوافق بين المنظمة الدينية والحضارة الغربية وسبل التواصل

أولا: موانع التوافق

(أ) تشدد الخطاب الغربي

هناك موانع جمدت التوافق مع الغرب، وهذه الموانع لها جذور تمثل جذور الصراع، ليس سببها يرجع إلى المنظمات الدينية فقط، بل مرجعها أيضا إلى الغرب

فالروح الصليبية لم تبرح كامنة في صدور "الغربيين" كمون النار في الرماد، وأن "روح التعصب لم تنفك حية معتاجة في قلوبهم حتى اليوم... وان "النصرانية لم يزل التعصب مستقرا في عناصرها متغلغلا في احشائها متمشيا في كل عرق من عروقها. وهى ابدا ناظرة إلى الإسلام نظرة العداء والحقد والتعصب الدينى الممقوت"- فالعالم الغربي على اختلاف أممه وشعوبه عربا وجنسية هو عدو مقام مناهض للشرق على العموم والإسلام على الخصوص فجميع الدول الغربية متحدة معا على ذل الممالك الإسلامية ما استطاعت إلى ذلك سبيلا " وأن دعاة الغرب" يأخذون شواعر كل مسلم وآماله ورغباته التي تجول في صدره، ثم يمثلونها بصور الهزء والسخرية والعبث والازدراء[٢]

فأن أساس العلاقة بين الشرق والغرب قد قامت على العداء الديني، ورفض الإسلام بديلا للنصرانية في الشرق وغيره، بما في ذلك حماية النصارى الشرقيين من الإسلام، والتأثير على الأرثوذوكس في الشرق واستقطابهم للكنيسة الكاثوليكية في الغرب[٣]

وهذا الصراع له جذور عميقة تتمثل في النصوص الدينية تنص على قتل المخالفين وعدم تقبلهم حيث جاء سفر التثنية:" مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ [٤]

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، (١٥٨/٣)

(٢) تاريخ الغزو الفكري والتعريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين ١٩٢٠/ ١٩٤٠، أحمد أنور سيد أحمد الجندي (المتوفى: ١٤٢٢ هـ)، دار الاعتصام، ص٥٨

(٣) المستشرقون والتنصير، علي بن إبراهيم الحمد النملة، الطبعة: الأول، ص١٦

(٤) سفر التثنية، الإصحاح (٦)، الآية (١٠)

وجاء أيضا:" "وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مُدُنِهِمْ بِمَسَاكِنِهِمْ، وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ بِالنَّارِ[١]

فلا تفرقة بين الكبير والصغير ولا الطفل والشيخ، فجاء في سفر حزقيال:" اَلشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ، اقْتُلُوا لِلْهَلاَكِ[٢]

حتى العهد الجديد، لم يخلوا من تلك النصوص فجاء في إنجيل متى:" "«لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا[٣]

وهذا وضح في العصر الحديث وضوحًا جليًا، حيث نقل عن القادة والرؤساء مصطلحات (حرب صليبية)، (حرب ضد الفاشية الإسلامية)، (حرب تغيير القيم)، مصطلحات ترددت بقوة على لسان الرئيس الأمريكي جورج بوش، ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير، منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ بما يؤكد أن الغرب وجد العدو البديل ممثلاً في المسلمين، بعد زوال الخطر الشيوعي، حيث أزاحت أحداث ١١ سبتمبر الغطاء عن مكنون القلوب لدى زعماء غربيين تصرفوا بمنطق الحروب الصليبية، وأحيوا مقولات الداعين لتلك الحروب والمتمثلة في مواجهة خطر المسلمين الكفار. "فاستخدام التاريخ لأسباب سياسية يتضخم في الفترة المعاصرة[٤]

وهذا الخطاب المعادي للشرق بصفة عامة وللمسلمين بصفة خاصة كان نتاج لما سبق، وكان نتاج أيضا النظرة إلى العرب باعتبارهم وثنيين يعبدون محمدا، ونظر إلى محمد باعتباره ساحرا ؛ بل الشيطان بعينه، كما شاع القول بأن الدين الإسلامي يبيح الاتصال الجنسي غير الشرعي ويطلق العنان لإشباع الغريزة الجنسية[٥]

ومما زاد فجوة الاتصال هو تخلي أصحاب الديانات عن مبادئ دينهم، حيث تحولت الديانة اليهودية مع كونها دينا لبني إسرائيل إلى صهيونية عالمية تكيد للآخرين وتسعى للهيمنة على العالم بأسره، وفي سبيل ذلك ترتكب أبشع الجرائم وتلصق أبشع التهم بالآخرين ومعتقداتهم، كما تحول بعض اتباع المسيحية ذات المبادئ السمحة التي تدعو إلى المحبة والتسامح والسلام إلى الفكر الصليبي الذي يزدر أديان الآخرين ويشوهها عن عمد ويكيد لأتباعها ويشن عليهم الحملات الإعلامية المتواصلة، والحملات العسكرية بالأصالة عن أنفسهم أو بالوكالة عن الآخرين[٦]

---

(١) سفر العدد، الإصحاح (٣١)، الآية (١٠)

(٢) سفر حزقيال، الإصحاح (٩)، الآية (٦)

(٣) إنجيل متى، الإصحاح (١٠)، الآية (٣٤).

(٤) الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور – الممارسة – سبل المواجهة)، يوسف العاصي إبراهيم الطويل، صوت القلم العربي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م، (٦٧/٣)

(٥) فضل الإسلام على الحضارة الغربية ،مونتجومري، نقله إلى العربية حسين أحمد أمين، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ه – ١٩٨٣م، ص٩٩

(٦) التعايش بين الأديان، بين النظرية والتطبيق، الحسين عبد الفتاح جادو، بحث بجلة الجمعية الفلسفية المصرية، المجلد (٢٧)، العدد (٢٧)، ٢٠١٨، ص٢٣٥

(ب) تشدد الخطاب الشرقي

إن تيار التطرف والغلو والتشدد الذي أخذ ينتشر في العديد من دول الشرق يعبر عن أزمة حقيقية ناجمة عن إحباط وخيبات أمل، فالخطاب الشرقي مازال يعيش عيشة نرجسية، فهو خطاب تكفيري غير متسامح ولا يساهم في البناء ولا يتفاعل مع الاستحقاقات السياسية

ثانيا: سبل التواصل

إن التباين العقدي بين الشرق والغرب لا يكون حاجزا ومانعا من التوافق بينهما، ولا يبرر العدوان، وهذا ما جاء في القرآن الكريم ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ (١)

إن التواصل مع الآخر وتقبل المعطيات ضرورة شرعية، ولقد تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود، ولم تحدث قطيعة، فهو أول من مد جسور التواصل، عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي صلى الله عليه وسلم اشترى طعامًا من يهودي إلى أجل، فرهنه درعه»(٢).

المطلب الرابع: الجهود الفكرية للتواصل مع الحضارة الغربية

أولا: الإصلاح الديني.

من الملاحظ أن دعوات الإصلاح الديني في الغرب كان لها ما يبررها بسبب طغيان رجال الكنيسة، ومحاربتهم للعلم والعلماء، بل جيشت جيوشها لمحاربة كل من ينتقدها أو اعتنق ما يخالف عقيدتها، لكن تحولت هذه الحركات إلى الثورة على المسيحية نفسها بوصفها دينا يعوق الفكر، ويقف عقبة أمام التقدم العلمي، ودعا أنصار هذا الاتجاه أمثال "بيكون "، و"هيوم" وجان جاك روسو " إقصاء الدين عن العلم، بل رفض أي قضية فكرية ليس لها أساس تجريبي، والإبقاء على المسيحية بوصفها حاجة نفسية فقط دون السماح بأي تدخل في شئون الحياة (٣).

وفي الشرق ظهرت فئة في هذا العصر، اتجهت في معنى التجديد غير الوجهة التي عرفها المسلمون على مر العصور، وقامت بعرض أفكار للتجديد بعيدة عن النهج الإسلامي السوي، ودعت إلى تجديد الفكر الإسلامي، وتجديد أصول الفقه، وتجديد

(٢) سورة الممتحنة (٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب شراء الطعام إلى أجل، رقم الحديث (٢٢٠٠، (٧٧/٣

(٣) تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر، أحمد بن محمد اللهيب، فهرسة مكتبة فهد الوطنية، مجلة البيان، ط١، ١٤٣٢ه، ص١٠٧

أصول الحديث، وتجديد العلوم الإسلامية، لا بطريقة عرض العلوم عرضا سهلا أو إيجاد الأحكام الشرعية لمواجهة بعض المشكلات التي جدت كالتأمين والبيع بالأجل وغيرها وإنما انصبت الدعوة على تغيير الأفكار الإسلامية، وتغيير أصول العلوم الإسلامية، وزعموا أن أحكام الإسلام بليت وذهبت مع عصرهم، كما بلى أصحابها، ومن الخطأ الرد علي تلك الأفكار وتنبيه المسلمين إليها ؛ لأنه إشهار لأفكار ماتت في مهدها [١].

ثانيا: الحداثة:

تعد الحداثة من الناحية التاريخية حصيلة عصر النهضة، ومن عصر النهضة أيضا تنطلق الإنسية أو محورية الإنسان، وتطرح أصالة الإنسان فكرة محوريته بصورة مستقلة عن الله والوحي الإلهي، فهي نفيا للروح الدينية في العصر الجديد[٢].

ويعرفها حسن حنفي بأنها الانتقال من التراث الذاتي إلى تراث الغير ليس على مستوى الثقافة فقط، بل على مستوى السلوك اليومي والعادات والتقاليد [٣].

فالحداثة بهذا المفهوم لا تعني إقامة ما انهدم من المفاهيم الإسلامية، ولا إحياء ما اندثر من ثوابت الدين، بل هي التخلص من الماضي بكل ما يحتويه من أصول وثوابت والانطلاق في تجرد عن الدين بكل مكوناته، وإن هدف المروجين لفكرة تحديث العالم الإسلامي لم يكن بلوغ مستوى أعلى من الرقى الحضاري والنضوج الفكري كما يدعي الحداثيون، إنما في الحقيقة استبدال الأفكار والمبادئ والقيم الإسلامية الأصيلة بأفكار وقيم غربية مادية حديثة مستوردة من شأنها أن تثبت جذور تبعية المسلمين للغرب، وتمحو شخصية المسلم، وتطمس معالم المجتمع الإسلامي الفكرية، والثقافية، والدينية، والاجتماعية [٤].

ثالثا: التنوير.

ظهرت فلسفات التنوير وكان هدفها إبعاد الناس عن الدين ورجاله، وهذا ما يحدث في الغرب ولا يصح بأية صورة من الصور أن يطبق ذلك على الإسلام، لأن الإسلام لا

---

(١) مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعاء التجديد المعاصرين، محمود الطحان،، مكتبة دار التراث، الكويت، ط٢، ١٤٠٦ه – ١٩٨٦م، ص٥

(٢) الحداثة وما بعد الحداثة، التعريف، المميزات، الخصائص، رضا دولاري، بحث محكم بمجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، المجلد (١١)، العدد (٤٤)، ٢٠٠٤م، ص١١١

(٣) دراسات فلسفية، حسن حنفي، مكتبة الانجلو المصرية، ط١، ١٩٨٧م، ص٦٦

(٤) التجديد بين الإسلام والعصرانيين الجدد، انس بن محمد جمال بن حسن أبو الهنود،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزةص٢٥، نقلا عن كتاب أثر الحضارة الغربية على المجتمعات الإسلامية، جاد محمد عبد العزيز، دار السلام، ط١، ٢٠١٠م، ص١٣٥.

يوجد به رجال دين، ولكن يوجد به علماء دين، والعلماء ليس لهم رأي مقدس، وكل إنسان من حقه أن يناقشهم [١].

الفرق بين التنوير والتجديد فرق شاسع، ففلسفة التنوير كما عرفتها أوروبا في القرن الثامن عشر الميلادي، كانت حركة " إحياء حضاري – لا ديني " أحلت العقل والعلم والفلسفة محل الله والدين، بينما التجديد الإسلامي على مر تاريخ الإسلام وحضارته هو " إحياء ديني "، لأن التجديد آلية فكرية تزيل عن ثوابت الدين ومبادئه وأركانه في العقيدة والشريعة والقيم بدع الزيادة والنقصان وشوائب التصورات الغربية، فتعيد للمنابع نقاءها، ليكون فعلها أفضل وعطاؤها أكثر وموردها أكثر صفاء[٢].

(١) التنوير: بين رؤية الحضارة الغربية، ورؤية الحضارة الإسلامية، على القاضي، مقال بمجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، العدد(٣٣٤)، ١٩٩٤م، ص٢٦

(٢) الإسلام بين التنوير والتزوير، محمد عمارة، دار الشروق، ط٢، ١٤٢٣ه – ٢٠٠٣م، ص٢٢٣

الخاتمة

أولا: النتائج:

١- لابد أن تستعيد المؤسسة الدينية دورها المعرفي والتعبدي، وتجدد رسالتها، بإعادة النظر في رؤيتها المنهجية، وأساليبها الدعوية وخطابها الرسالي؛ لتوازن المنشود في المجتمع.

٢- التباين العقدي بين الشرق والغرب لا يكون حجاز وموانعا من التوافق بينهما، ولا يبرر العدوان.

٣- لقد تباينت المنظمة الدينية في موقفها من الحضارة الغربية، بثلاثة اتجاهات: اتجاه معادي، ورافض لكل ما هو اجنبي، وقف موقف المعارض الثائر وعلى النقيض منه اتجاه منفتح قبول كامل لكل ما هو نفع وضار، والثالث اتجاه وسط.

٤- المنظومة الدينية هي هيئة تسعى لتحقيق أهداف معينة، بحيث لها محددات واضحة، وكذلك بناء وظيفي واضح ومقصود.

٥- هناك موانع جمدت التوافق مع الغرب، وهذه الموانع لها جذور تمثل جذور الصراع، ليس سببها يرجع إلى المنظمات الدينية فقط، بل مرجعها أيضا إلى الغرب

٦- إن التواصل بين الحضارات ومد الجسور بينهم، ضرورة شرعية، تلبي الحاجات الإنسانية ؛ لتواجه التحديات الكبرى، في تناغم وانسجام وليس علاقة تنافر واحتدام.

ثانيا: التوصيات:

١- وضع مشروع للوحدة الإسلامية على شكل شرعي، يمكن قبوله وتطبيقه بين دول العالم الإسلامي، وتقوية التواصل مع الثقافات الأخرى، بما لا يتعارض بتراثنا الفكري.

٢- الحث على الاجتهاد للمنظمات الدينية،وذلك لمن يملك أدواته في محاولة للوصول إلى هدى الله في الوقائع النازلة، وهذه الترتيبات العلمية تحدد ضوابط فهم النص.

٣- وضع سياسة واضحة لوسائل الإعلام لترشيد الخطاب التجديدي .

٤- تبني الجامعات والمؤسسات الدينية العقول التجديدية ودعمها ماديًا وأدبيا، ليكونوا نواة لنهضة تجديدية تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

٥- المسارعة في تشجيع التفكير الإبداعي والتجديدي لدى الأمة عبر وسائل الإعلام، والسلطات السياسية، والمحافل الدينية.

المصادر والمراجع:

- الإبهاج في شرح المنهاج،(منهاج الوصول إلي علم الأصول للقاضي البيضاوي المتوفي سنه ٧٨٥هـ)، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، دار الكتب العلمية –بيروت، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥ م.
- اتجاهات الفكر الإسلامي في مصر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، دار عالم الكتب، السعودية، ط١، ١٤١٤ه – ١٩٩٤م.
- الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس المصري المالكي، (٦٨٤) اعتني به عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤١٦ه – ١٩٩٥م
- الإسلام بين التنوير والتزوير، محمد عمارة، دار الشروق، ط٢، ١٤٢٣ه – ٢٠٠٣م
- الإسلام والتجديد في مصر، تشارلز آدمس، Islam Modernism in Egypt By: Charles C.Adams ترجمة عباس محمود العقاد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٥
- الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، محمد عبده، دار الحداثة، ط٣، ١٩٨٨م
- الأم، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، دار المعرفة – بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- الإمام محمد عبده، مجدد الدنيا بتجدد الدين، محمد عمارة، دار الشروق، ط٢، ١٤٠٨ه – ١٩٨٨م.
- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥ه)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن أحمد، درا قباء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

- تاريخ الغزو الفكري والتعريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميتين ١٩٢٠/ ١٩٤٠، أحمد أنور سيد أحمد الجندي (المتوفى: ١٤٢٢ هـ)، دار الاعتصام
- تجديد الدين، الشيخ وحيد الدين خان، ترجمة الدكتور: ظفر الإسلام خان، ٢٠١٥م
- تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر، أحمد بن محمد اللهيب، فهرسة مكتبة فهد الوطنية، مجلة البيان، ط١، ١٤٣٢ه.
- التجديد بين الإسلام والعصرانيين الجدد، انس بن محمد جمال بن حسن أبو الهنود،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة
- التعايش بين الأديان، بين النظرية والتطبيق، الحسين عبد الفتاح جادو، بحث بجلة الجمعية الفلسفية المصرية، المجلد (٢٧)، العدد (٢٧)، ٢٠١٨.
- التنوير: بين رؤية الحضارة الغربية، ورؤية الحضارة الإسلامية، على القاضي، مقال بمجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، العدد(٣٣٤)، ١٩٩٤م
- الحداثة وما بعد الحداثة، التعريف، المميزات، الخصائص، رضا دولاري، بحث محكم بمجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، المجلد (١١)، العدد (٤٤)، ٢٠٠٤م
- الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور – الممارسة – سبل المواجهة)، يوسف العاصي إبراهيم الطويل، صوت القلم العربي، مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.
- دراسات فلسفية، حسن حنفي، مكتبة الانجلو المصرية، ط١، ١٩٨٧م
- دور المؤسسة الدينية كأداة ضبط اجتماعي، عماد نبق، مجلة التمكين الاجتماعي، المجلد ٠٢ / العدد ٠٤ / ديسمبر ٢٠٢٠.
- الصراع بين الفكرة الإسلامية، والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، أبو الحسن بن الحسن الندوي، دار الندوة للنشر والتوزيع، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٨٨ه – ١٩٦٨م.
- العلمانية، نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر بن عبد الله الحوالي، دار الهجرة.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩ه(، دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٤١٥ ه.

- الفتوى بين النص والواقع، والثابت والمتغير الضوابط والأحكام، على محي الدين القرة داغي، بحث بمجلة مجمع الفقه الإسلامي، الدورة السابعة عشرة، الطبعة الأولى، العدد السابع عشر، المجلد الأول، ١٤٣٠ه – ٢٠٠٩م.
- الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: ٦٨٤ه)، عالم الكتب
- فضل الإسلام على الحضارة الغربية ،مونتجومري، نقله إلى العربية حسين أحمد أمين، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ه – ١٩٨٣م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١ه)، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط١، ١٣٥٦.
- كتاب أثر الحضارة الغربية على المجتمعات الإسلامية، جاد محمد عبد العزيز، دار السلام، ط١، ٢٠١٠م
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة الإيمان، المنصورة – مصر.
- المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ١٤١٦ه – ١٩٩٦م
- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨ه)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ه/١٩٩٥م.
- مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- المدخل المفصل لمذهب الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: ١٤٢٩ه)، دار العاصمة – مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ط١، ١٤١٧ ه
- مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، دار المعارف، الطبعة الثانية.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠ه)، المكتبة العلمية – بيروت
- معالم المنهج الإسلامي محمد عمارة، دار الشروق، ط٢، ٢٠٠٩م.
- معالم الهدى في فهم الإسلام، مروان إبراهيم القيسي، المكتبة الإسلامية، عمـــان، الأردن، ط١، ١٤٠٦ه – ١٩٨٥م >
- مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعاء التجديد المعاصرين، محمود الطحان،، مكتبـــة دار التراث، الكويت، ط٢، ١٤٠٦ه – ١٩٨٦م.
- مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد السيد، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الـــسعودية، الطبعة الثانية، ١٤٣٣ه – ٢٠١٣م.
- مقدمة قصيرة جدا في التاريخ الإسلامية، آدم جيه سيلفرستاين، ترجمة إينـــاس المغربـــي، مؤسسة هنداوي، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م
- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الـــشهير بالـــشاطبي (المتـــوفى: ٧٩٠هـــ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـــ/ ١٩٩٧م.
- موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه، واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، دار الفكر الحديث، لبنان، ط٢، ١٣٨٦ه – ١٩٦٧م.
- موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، مفيد الزيدي، دار أســـامة للنـــشر والتوزيـــع، الأردن، ط٣، ٢٠٠٩م.
- نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي (المتوفى: ١٢٩٠ه)، دار الذخائر – القاهرة، ط١، – ١٤١٩ ه.
- هيكلة المؤسسة الدينية وتنظيمها بين الواقع والآفاق، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجـــستير، لعبيدي ليندة، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة يحيي فاس، المدية، ٢٠٢٢م